حوليات آداب عين شمس المجلد ٥٠ (عدد يناير – مارس ٢٠٢٢)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

تشيؤ المرأة في الرواية العراقية ما بعد ٢٠١٤
قراءة في نماذج مختارة

بشرى ياسين محمد*

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية
bushra.yaseen@Ircoedu.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

في كل أطواره، مارس الإنسان دوراً فاعلاً في تحريك الكون ما حوله باجاه صنع عالم متماسك من القيم النبيلة، وعلى اعترافنا بأن هذه المسيرة حفتها منحدرات غاية في التدني، كان نتيجتها إن فقد الناس جزءاً من كينونتهم حين حكمّوا التشدد الأعمى معياراً لكل سلوك، والتشدد في أغلب فعالياته يستلزم أن يتخلى المتشدد عن اتزانه، ويجنح بعيداً عن الاعتدال، فالتحديد وهو آلية ضمنية لعملية التشدد، سيعني السكون، والتقوقع كما يرى هيجل، فإنه بحساب الحالة المركبة لمعنوية التشدد، فإن فيه إلغاء للآخر، وعدم السماح له بفعله الإنساني المعتاد، ولو أنصفنا تحليل الوعي البشري سنشخص قصوراً (تعاملياً) مع المرأة ولاسيما المرأة العراقية التي ما فتأت (مجتمعياً) تعاني وهي تلم شتاتها الفكري والسلوكي لتقف على ناصية التساوي والتوازي مع الرجل، لكنها محاولات ستبوء بالفشل عطفاً على سيطرة الذهنية النافذة للرجل الشرقي (المدني) فما بالك بالرجل المسلح الذي يعرف إن المرأة كيان ضعيف، وبالتالي ستكون وسيلة لا غاية، ممر مناسب يلقي في نوازعه المستبدة.

والتشيؤ الذي سيكون عماد دراستنا، له ابعاد فلسفية مائزة ناهيك عن إسقاطاته الأدبية التي تشتغل حسب مفهومه العام على تحويل الإنسان عموماً، والمرأة بشكل خاص الى أشياء لا قيمة لها، وسنقف على أعمال روائية مهمة (زمنياً) لأنها تشكل وثيقة صالحة لمحاكمة سلطة الجمع المتشدد، والمنغلق (دينياً– فكرياً– سلوكياً)، وكيفية كان ينظر للنساء، في بيئة كانت قبل فترة الاجتياح الداعشي أكثر ما تكون إنفتاحاً وثقافة، في هذا الإطار اخترنا اربع روايات: **الكافرة لعلي بدر ٢٠١٥، شتات نينوى لغادة صديق رسول ٢٠١٦، عذراء سنجار لوارد بدر السالم ٢٠١٦، شظايا فيروز لنوزت شمدين ٢٠١٧**، وبدورنا سنأخذ في منهجية التشيؤ وعملياتها النفسية والسلوكية ضمناً في الفعل الروائي المتكون من مكان وشخوص وأحداث عن طريق تحليل النصوص التي تحمل تداعيات عنيفة خلفتها النظرة الأحادية للنساء.

وعلى ذلك قسمنا بحثنا الى تمهيد: في التشيؤ فلسفة ونقداً، ثم الى مبحثين: الأول: الانتهاك الجسدي ومدياته المادية، والآخر في الانتهاك النفسي وتأثيره العميق في وجدان المرأة..

الكلمات المفتاحية: التشيؤ، الانتهاك، الرواية العراقية، العنف، المرأة

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس ٢٠٢٢.

التمهيد

التشيؤ في الفلسفة والنقد

في مجمله هذا الكون يشتغل على إيجابية المشاعر، وعلى دورها في تحضير حياة أكثر اجتماعية وسلاسة، ولابد للإنسان بصفته الحركية أن يبقى لصيق ذاته، وذات نظرائه؛ ليرسم طرقاً تتصل مع الاخر البعيد، وهنا ستمارس الثقافات دوراً في تعشيق الممارسات الانسانية؛ لإحكام نقاط التقارب في معمار الحضارة.

إن قيمة السلوك كائنة في قدرته على المرونة في التعايش، وتبرير الظروف المتعبة؛ لتحفيز المشتركات وتعزيز الاواصر، ولو نظرنا لمسيرة الحضارة التي بدأت من بديهيات الجمع والالتقاط، ومروراً بحيثيات المشاركة في حصد مثمرات الارض، وإنتهاءً بتطويع المكننة كي لا تكسر الترابط القيمي بين الذوات المختلفة، في كل انتقالاتها احتفظت بجزء غير يسير من الالفة كقاعدة في دمج المختلف، للخروج من تنافر الجزئيات، ودعم عدم الانفلات الذي قد يخرق النسيج ويشوه القاعدة، لكننا نفترض مضموناً احادي الجانب يميل المثاليون فيه للفطرة الأولى المبنية على التعارف والاحترام والتقدير، بيد أنها على كل حال نظرة رومانسية عطفاً على تأريخ مخزٍ من الحروب، والغزوات، والانتهاكات، وهنا تتجلى فرضية التمايز المبررة للتفاوت الثقافي والطبقي والحضاري، وبالتالي كل ما فعلته البشرية بنفسها يبدو منطقياً حين تبرز الحاجة، وتستثمر القوة والغلبة للهيمنة، ومن يقول عكس ذلك فانه يعتكز على تنظير أخلاقي لا أثر له في أرض الواقع، لم يمنع ظهور مفاهيم مثل (العشيرة، العرق، الأدلجة، التحزب، الغلو).. حاولت تأصيل الاستقطاب، وتركيز الجماعات العرقية، أو البيئوية، من جانب آخر، لا ننفي قدرة الناس على صنع عوالم متحابة ومتكيفة.

النفسانيون ينظرون لنموذج وسطي سوي لديه روح تعطي، وتأخذ بنفس القدر، والسياسيون يحبذون إنساناً حركياً يقود القطيع لبر الامان بحكمة، لكن الأدباء غير هؤلاء وهؤلاء، فهم يرسمون أناسيهم بالوان مغايرة، فيها من الواقع شيء والخيال شيء، لذلك ستندمج الألوان فتخرج لنا بحيثية جديدة قد تكون مضخمة للحياة بكل ما فيها تتيح لنا الرؤية بتجل أكبر.

وعلى كل حال لم يكن الانسان وحده في هذه الأرض بل كانت هناك بيئة تؤطر حضوره وتمكن اجراءاته في معايشة الجمادات، وتشكيل واقع مناسب لمتطلباته، ناهيك عن ما يحيطه من كائنات أخرى تتنفس من ذات الهواء الذي تتنفس رئتنا، وكانت هذه الشيئيات تعمل معه وبواسطته ومن خلاله، وهي في خدمة وجوده وديمومة نسله؛ من حيث هو الأصل في الخلق، وكان من دواعي جعله ان لم يكن أهمها هو اصلاح البائر من الأرض، وتقويم المعوج من السلوك؛ لتكوين حقيقة مثلى واولى يكون الانسان هو الباعث والمحرك لكل شيء.

عمليا تأخذ علاقة الإنسان بما حوله أبعاداً متعددة، وفي الخروج من دائرة غير المماثل الى المماثل قد نشهد فرضيات شائكة يتدخل في كثير من تفصيلاتها علم النفس والسياسة والتاريخ وعلم الاجتماع؛ لأننا إزاء تصنيف ندٍ مشابه نظرياً (إنسان يقابل إنسان)، لكنه واقعاً متباين معه أشد تباين بحكم التناشز في العادة والمعرفة والثقافة والسلوك، وحين انطلقت شرارات التبشير الواعي بوجود رب مهيمن، حاكم، راعي، سائس، مقدس، ظهرت الصنمية بتجليات عدة، وبدأ التفاضل الديني يتجلى، رمى هذا التفاضل حجراً جديداً من أحجار الاختلاف في بئر الإنسانية الواحد، وهنا بدأت رحلة الإخضاع تأخذ مسارات عدة أهمها القسري، والعاطفي، فالأفضلية تتطلب التحشيد، والتحشيد صانع للهيمنة، والهيمنة تعني القوة، ولعلنا لا نبالغ حين نعزو جشع الاستغلال والسيطرة؛ لتعطش النفس لتحصين وجودها، وتوفير ملاذات حامية لديمومتها.

ولكون الإفراط في القوة يصنع نماذج شيئية، فالقوي ينظر لما حوله وكأنه حضور شكلي خادم لرغباته حصراً، وهنا كان التشيؤ جزءاً من عملية انقلابية على قيمة والاحترام الذي نادت به الفطرة العتيقة، والأولى بالمتشيئ أن يصنع نزاعاً مغايراً يسميه هورنيث صراعاً من أجل الهوية [١]، لكننا سندخل في متاهة الأنا والآخر، الأول والتالي، الأعلى والأسفل، وهي نداءات الإنسان قديماً وحديثاً من خلال شعب الله المختار، العنصر الاسمى، الجنس الأفضل، وهكذا.

والتشيؤ بطيفه الاوسع كان مفهوماً تدرجت تنظيراته، ومن ثم تنوعت مفاهيمه وكان بادئ ذي بدء يقوم على هيمنة المكننة على فعاليات البشر المستحقة للتقدير والاحترام إذ يصفه لوكاش " إن ّجوهر البنية التجارية غالباً ما دلل عليه؛ إنه يرتكز على واقع أن ّ رباطاً، أو صلة بين الأشخاص يأخذ طابع شيء، وبهذه الصيغة طابع (موضوعية وهمية) في نظام قوانينها الخاص الصارم والمغلق تماما، والعقلاني بالظاهر، تخفي كل أثر لجوهرها الأساسي الصلة بين الناس" [٢]، ولعله أي (لوكاش) انطلق من بنائه لهذه الفرضيات من عقيدته السياسية والاقتصادية الماركسية التي ترفض هيمنة الرأسمالية، وتدعو في صميمها الى المشاركة والمشاعة الجماعية في العمل والاقتصاد [٣]، ومن (توثينية) السلع التي يراها ماركس المتأتية من قوانين السوق التي تسود ما بعد الإنتاج، والهيمنة على علاقات الافراد ببعضهم وبالمجتمع كذلك، الى نظرية الاغتراب التي نادى بها هيجل والتي

تتصور مفهوم التشيؤ في السلب في جزئيتها المطلقة ومن ثم تتمحور حول الحرمان تالياً " أن تكون مغترباً هذا يعني حرمانك من شيءٍ خاص بك، ينطوي ذلك على فكرة الحرمان والخسارة، ولا شكّ أنّه يأتي كنتيجةٍ سببيّةٍ لظروفٍ تأريخيّةٍ غير مواتيةٍ تماماً للوجود المطلق" (٤).

ومن ثم جاءت نظرية الاعتراف التي تستند على العقل التواصلي بين البشر الذي يقوم أساساً على البنية اللغوية قبالة العقل الأداتي المفرغ من التعاملات الاجتماعية الأخلاقية، وعليه فسيكون التفاهم وسيلة هامة للخروج من ربقة الانغلاق هذا (٥)، وعلى اية حال هناك جزئية يمكن استغلالها في كل ما تقدم تقود الى أن المشيئة الإنسانية ظلت محفوفة بتهديدات عدة، وعلى تنوع المفاهيم السالبة (حرفياً) للحقوق، سار البشر جنبا الى جنب مع اضطهادات متنوعة بتبريرات متعددة.

وفي التشيؤ الذي نراه ينحدر سلالة من مفاهيم عدة يقف في مقدمتها الاعتراف والاغتراب، ومع تنوع مدارس النقد فلسفياً واجتماعياً، بقيت قيمة التحجيم، ومن ثم الإلغاء جلية في تدوير عنوانات (التكفير، التطهير) وغيرها، ممن تعلّي الأنوية الأحادية، أو الجماعية، ولكننا بعد هذه المقدمة القصيرة يهمنا ان نعرج على التشيؤ الأدبي حصرا، ذلك المفهوم المتداول الذي يحول الإنسان كياناً وجماعات الى جمادات لا حول لها ولا قوة، ولعلنا سنحرر أيدينا للتعرف على ماهية التشيؤ (أدبياً) ومن ثم كيفية استغلال معانيه السالبة في النص الروائي، مع تذكير مستمر بأننا بصدد معالجة تشيء المرأة حصرا..

الواجب اولاً أن نلفت لدور العولمة والحداثة في تسليع المرأة، وسلبها عقلها الواعي والمدرك، من خلال استغلالها جسدياً، وتقديمها كمادة محرضة على الجنس، وتبدو متبنيات التحضر الأخيرة ترتكز على تحرير المرأة، لكنه تحرير في طبيعته واهم وسالب ومهيمن على المرأة عن طريق ضخ كمٍ هائلٍ من الاعلام الذي يهدف الجسد خاصة مع محاولات لترميمه بشكل يبدو مثيراً قبل كل شيء، وعطفا على هذا الفعل مُورس التشيؤ على أنه "استغلال لأجسادهن بصورة مادية ونفعية، كذلك خضوع الجسد للتوجيهات السوقية أو الإنتاجية المقصودة، سواء كان ذلك بوعي أو غير ذلك، كنتاج للتعرض الدائم والمستمر لمؤثرات خارجية أهمها وسائل الإعلام المرئية" (٦).

وحين نتعمق دلالياً في معنى التشيؤ نجده يقترب من معنى الثبات المرمز له بخاصية الشيء الجامد غير العاقل، وهو تحويل كل ما هو حركي متفاعل الى وسط ساكن وثابت، هذا المعنى كان مرجعياً وتمتد أصوله كما سردنا الى واقع العمل والعمال، والاقتصاد بشكل اعم، لكنه سايكولوجيا يأخذ جزئية الازدراء، والعزل، والتحكم بالذات الإنسانية، والتفريط بكرامتها، بالإضافة الى تحييد عقليتها الرافضة، وبالتالي تصير شيئاً مملوكاً مسلوب الإرادة، وقد اقترب سارتر كثيراً من هذا المعنى إذ ربط بين الاستعباد الكامل، والشيئية، لكنه أوجد تأثيراً مشابهاً للاستعباد وهو الخضوع الكامل الذي يحول الذات الى شيء أيضاً.. (٧).. هذا من جانب، أما من جانب آخر فان صناعة الأدب له مدخلية مباشرة ببنيات المجتمع وتحولاته التي تلقي بظلالها على المنجز السردي خصوصاً، لأننا إزاء عامل مؤثر يحرك في وعي الروائي تفاصيل حكائية تصب في قوالب الحدث والزمان والمكان، وحين نتيقن أن الحدث غاية في الفداحة، سننجذب نحو فرضية شمولية التأثير، وبالتالي تصبح ثيمة فنية، وتبدأ الأوراق تتخم بتفاصيلها ومخلفاتها، ولذلك يمكننا عطفاً على تأثيرات اجتياح العصابات المسلحة (داعش) لأجزاء من العراق، أن نميز تشيئاً مورس على نطاق واسع، وازدراء لقيمة الانسان وفكره ومعتقده، ناهيك عن استغلال النساء أبشع استغلال، وبيعهن كسلعة في سوق النخاسة، " فالتشيؤ هو تسليع المنجز الذهني والعقلي للإنسان حيث خضوع الانسان ككل إلى قيم التسليع واختزال كينونته في مقدار ما يحققه منجزه الذهني من منفعة مادية مباشرة، يمكن القول إن التشيُّؤ هو أن يتحول الإنسان إلى شيء، وتتمركز أحلامه حول الأشياء"(٨)..

وبعد كل ما ذكرنا نستطيع استدراج المفهوم الفلسفي للتشيؤ بعد فهمه وفهم إجراءاته نحو النص الروائي وتطبيقه على نماذجنا الروائية، وكان بإمكاننا التصريح هنا الى أن مساحة التوظيف ليست واحدة، ولا متماثلة بين روائي واخر، بحساب ان شكل السرد مختلف، ولأننا إزاء تجريب تحليلي يأخذ النص، ويوجه حالات التعنيف، والازدراء نحو تحول المرأة المسحوقة قبلاً، وبعداً الى منتج استهلاكي تتناوله الأيدي تباعاً لتقضي حاجتها دون الالتفات الى كرامتها وكيانها.

توظيف الارهاب في النصوص الروائية العراقية

يشكل العراق كان وما زال عمقا مؤثراً وحاضراً برغم حالات الانكسار والتخبط والانحدار اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، ولعل كثافة العقلنة التي تبوتقت على هذه الأرض ما يعطيه رصيداً لا ينضب من تراثيات الجدل والتفكير واحترام منجزات العقل بشتى مجالاتها، ولم يكن لاي بلد محصلة ضخمة ومتنوعة من الفنون والآداب والعلوم والتناقضات الفكرية مثلما لدى هذا البلد، وهذا الأمر غير مقتصر على الزاد البشري المسلم الذي تضخمت الإبداعات اللسانية على يده، بل إن تنوعاته العرقية لها يد طولى في تحريك فهم الاخر، والاستجابة لطروحاته، ومن ثم التآلف معها كقيمة إنسانية بحتة، وفي حقلنا التجريبي نتفهم أهمية هذا البلد المقاوم للنكبات، الحي على الدوام قدرته على الانبعاث كرة أخرى، وتقديم منجز أصيل يجعل أوليته حاضرة على الدوام.

المؤرخ للحركات المتشددة ذات الطابع الديني يجدها تستقطب الناس بالقوة، تارة وبالتهديد تارة، واحيانا بليّ الحقائق وتزوير العقائد، ويحتاج المتتبع لكمٍ معرفي ليتسنى له الإحاطة بايدلوجية هذه الحركات وقدرتها على المناورة وتخدير العقل بأساليب تعبوية تدخل في صميم إقصاء الآخر المخالف وتكفيره، وبالتالي استبعاده من معادلة المشاركة بتاتاً، ولذلك نرى أن خطاب هذه الجماعات يرتكز على الإلغاء وفق طريقة إذا لم تكن معي فانت ضدي، ويبدو استهلاك المناطق المقدسة الموروثة جلياً في الخطاب مع سبغ هالةٍ من التبجيل المطلق والغلو باتجاه صنع انموذج غير قابل للنقد، ولا للعصيان من قبيل بعث مفاهيم الخلافة، والدولة الإسلامية، وشعار الرسول والغزوات وغيرها من المصطلحات ذات البعد القيمي التأريخي المؤدية لدور الولاء والطاعة " الخلافة في الفكر والتفكير الإسلاميين المعاصرين رمز، تاريخ تليد مضيع، ويوتوبيا بناء تاريخ مجيد مقبل، انها الماضي والمستقبل في اتحاد مكين، علة طلب الخلافة هي استعادة الدولة، واستعادة الدولة شرط أساسي لاستعادة الإسلام نفسه.." [٩] وفي ربط الحيثيتين أعلاه (الانتاج)، و(التصدير) نتصور حضوراً متزايداً للتطرف الفكري، وبالتالي تتحول صفة رفع الشخص، أو الفكرة، أو السلوك لأكثر من طبيعتها الى منهجية ذات أيدلوجية تتطور مراراً لتكتسب ميزة التقديس، ومن ثم الإلزام، ويميز الدكتور عبد الله سلوم بين غلويين: الأول ساذج والآخر هادف " يجيء نتيجة إدراك ومعاناة فكرية عميقة في قضية دينية، أو فكرية يعبر عنها بسلوك، او أقوالٍ غالية تهدف الى أغراض معينة.." [١٠]، أما المتطرف والتطرف فهو كما ورد في المعجم " المغالاة السياسية او الدينية او المذهبية او الفكرية، وهو أسلوب خطر مدمر للفرد والجماعة" [١١] .. وعلى ضوء ذلك نجد علاقة تكافلية بين الغالي والمتطرف، وهما ينتجان نفس القيمة المؤثرة لنكران الآخر وتهوين حضوره، ومن ثم الغائه، مادام لا يتوافق آيدلوجياً، دينياً، اجتماعياً معه.. ففي رواية **عذراء سنجار** مثلاً رصدٌ لنوعية الأخر غير المسالم المسمى في ادبيات داعش (العدو الحربي) يقول وارد بدر السالم متحدثاً عن شخصية ايزدية أثناء معيشتها في أجواء الرعب (الداعشي): " **لم يقلق سربست كثيراً حينما دقق الملتحي بأوراقه الشخصية وقرأ (غير كافر) في وثيقة العبور التي تسمح له بالتجول بين ولايات دولة الخلافة..** " [١٢]، وهذا منتج حقيقي مرئي في أوان السيطرة، اذ ينظر للمخالفين بأنهم كفار وبالتالي سيتوجب عليهم الجزية أو السيف.

وقد مارست الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣ دوراً فاعلاً في أرشفة سنوات الانفجارات، والخطف، والقتل، والتهجير، وقد نجحت بالفعل في بلورة ثيمة تسجيلية نستطيع أن نسميها ثيمة الإرهاب الذي يعد بحكاياته الموجعة مادة دسمة للكتابة وللسرد فقد " شَكَّلَ الإرهاب هاجس الرواية العراقية الجديدة، كونه الممثل الحقيقي للواقعية المتمثلة بهموم الإنسان العراقي، وهو ما جعل بعض السرود الروائية تخرج عن المألوف، بموقفها الأيديولوجي المنفعل، والمنفلت أحياناً؛ لأنها حاولت وبشدة إيصال رسالتها التي أدانت الإرهاب.." [١٣]، وبعيداً عن مجال الدرس الناقد الذي يرى قصوراً فنياً في رواية الإرهاب بحجة تعكزها التام على الثيمة قبل القيمة الجمالية والفنية، لكن هذا الأمر لا يعنينا تماماً عطفا على رغبتنا في استخراج النص المشيء للمرأة، ومحاولة تحليله وتقييم مقداره ومدى تأثيره على المدى الطويل في نفس المتشيئة بشكل خاص والمجتمع بشكل عام، فالروائي يمسك الواقع من خناقه، يفعّل ماهيته ليصنع منه ثيمة تخدم نصه أولا، ومن ثم تستجلي حقيقة ما رأى وما أحس ثانياً، بعدها يسوّق كل ما كتب على إنه شاهد عيان.

المبحث الاول: الانتهاك الجسدي..

النهك معجمياً المبالغة في كل شيء، أو هو الشتم والتدنيس وإزالة الحرمة [١٤]، ويتضمن الخرق والتعسف والشدة سلوكاً وإدارة للمجموعات العرقية الأقل رتبة، ومع تحفظنا الشديد على تفاضل البشر وتمايزهم الإنساني، فان الواقع يثبت عكس ذلك، إذ ما نزال ونحن في قمة صعود المدنية نرى تعريضاً مستمراً لكرامة الإنسان، وامتهاناً متواصلاً لكينونته، وبشتى الذرائع، فالإنسان عموماً الذي ينشد الوحدانية والتفرد لابد يسعى من ضمن سعيه المحتدم للسيطرة والغلبة، وبالتالي سيعمل بوعي او بدون وعي للانتهاك والقهر والإكراه..

في الرواية العراقية الفاعلة في رصد حالات الانتهاك الجسدي في ظل الفترة المظلمة التي شهدت همجية (داعش)، وجدنا تفاعلاً بيناً بين الرصد الإنساني الواقعي، وذلك المتخيل، لأننا في كلا الحالين قبالة تعنيف مستمر للأنموذج المغاير، المغاير عقائدياً نقصد، لأن الجماعات المسلحة كانت أيدولوجيتها الرئيسة قائمة على التكفير، وفي هذا المجال سنفتح قوساً كبيراً يشمل متباينات عقدية عديدة تعدها (داعش) عدوا يهدد امتدادها، وبالتالي سيمكن تطهيرها (دينياً) من مد السطوة، ونشر الخلافة المزعومة، واسوء ما يمكن لمحه في هذا الإطار ما تتعرض له المرأة بكونها جنس أقل رتبة من الرجل أولا، أو بكونها تنتمي لمجموعات مختلفة عقدياً ثانياً ما يجعلها على الدوام في مرمى سهم المتشددين، لأنها أحيانا تكون غاية (قصوى)، لا وسيلة لإشباع النزوات وتحقيق المراد، وربما سنشهد تسويغاً لممارسات عنيفة تجاهها بحجج أهمها عدم الستر، والتبرج، وعدم الالتزام بالحجاب الشرعي، أو حتى طاعة الزوج، المؤدى منها تكميم رأيها، وتحجيم إرادتها، وجعلها خاضعة كلياً للرجل دون نقاش، أو اعتراض..

في رواية **الكافرة** لعلي بدر تصوير دقيق لما يسمى بحادثة الرجم التي تنتهجها (داعش) على وفق عقيدتها لامرأة اتهمت بالكفر والزنا، فالبطلة التي كانت شاهد عيان تصف الحادثة " **دخلوا الى السيارة، أنزلوا الشابة، وهي ذاتها التي رأيتها صباحاً في الممر، كانت ترتجف، مانعت أول الأمر، الا أنهم سحلوها سحلاً.. وضعوها وسط الدائرة المرسومة بالطباشير البيضاء، قامت المرأة بربطها بحبل كان مشدوداً على خصرها، ربطتها به كي لا تتحرك، جعلوها تجثو على ركبتها وشدوا يديها الى الوراء ليستقر الجسم بلا حراك.. جاءت سيارة تحمل صخراً، وقلبوها قرب الموضع، رمقت الفتاة بعينيها الحجارة الساقطة هناك ارتاعت، وبان الرعب في وجهها وعينيها، ابتسم المسلحون حين رأوها ارتاعت..** " [١٥] في هذا المشهد الدرامي المحسوس تنتفض الإنسانية رفضا لهذا الفعل القاسي، فالتشيؤ دال ومدلول في ذات الوقت، إذا اعتبرنا كلمات مثل (أنزلوا، سحلوا، وضعوا، ربطوا، ابتسموا) فيها ضمانات معنوية على أن المرأة هذه حتى لا شيء بالنسبة لهم، تحولت بمجرد اختلافها معهم الى كيان منبوذ يجب رميه والتخلص منه، ناهيك عن مقابلتهم الرعب والخوف البادي في عينيها والارتجاف في جسدها بابتسامة خرقاء " **طلبوا منها أن تنظر الى الناس، وقف على رأسها أحد المسلحين له لحية انسابت الى أسفل، يعلوها شاربه المحلوق، أنفه الكبير يلتهم وجهه وقد برزت عظام وجنتيه.. اشار بيده الى الناس برميها بالحجر**" [١٦] حسناً فعل الكاتب حين أحالنا لأوصاف القتلة والهمجيين الذين نؤمن بانهم يتشابهون في السحنة والسلوك، يستمر الكاتب عبر بطلته الواصفة تشديد الخناق على مشاعرنا الرافضة لمثل هكذا سلوكيات، وحنقنا الشديد على من يقوم بها، وإستطرادنا في هذا النموذج باعثه أن الإنتهاك هنا تجلى بأقبح صوره، والتشيئ واضح في عدم الإكتراث بحال (المرجومة) " **أما هي فقد أرسلت لي زفيراً مضمخاً بالدم، وهي ترفس بأقدامها على الارض، لم تكن قادرة أن تتقي الضربات عن وجهها، أو رأسها، فيداها موثوقتان، كان الضحك يتعالى، وهم يمعنون بضربها على الراس وعلى الوجه..**" [١٧]، والنص باذخ في أذى المشاعر، وتضخيم المعاناة التي تستحقها الحادثة، لكوننا إزاء تفعيل للتوحش بكل معنى الكلمة، ولعلنا سنواجه مشهداً عنيفاً آخر صوره قلم الروائي (الشاهد) على فداحة وسوء التشيئ " **توقفت السيارة في متنصف السوق وهبط منها أربعة رجال يتنكبون البنادق فيما بدا حوضها الخلفي يحمل ست صبايا عاريات متقاربات الاعمار..** " [١٨] وسنكتفي بهذا القدر الواصف؛ كي لا نخدش حياء القارئ، وننتقل مباشرة لسبب ابراز الفتيات أمام الناس.." **بسم الله الرحمن الرحيم، ولاية الجزيرة قضاء سنجار، بالنظر لإمتناع الكافرات المدرجة اسماؤهن في أدناه بالدخول الى الدين الإسلامي الحنيف، ونظرا لصغر أعمارهن، وبعضهن غير بالغات فقد حكنا شرعاً بحقهن الحكم التالي: حلق رؤوسهن في مكان عام ويشهد على ذلك العامة..** " [١٩]، وهذا النص نابض بالتعنيف والتجاهل، ونبذ الآخر، بل والتحكم به بحجج عقدية ودينية..

ولو إن بعض الضحايا بادرْن وأعلنّ الطاعة، ربما لحفظنّ حياتهنّ كما فعلت دلين الأيزدية: "**زوجي أعطاني حريتي شرط أن أدخل الإسلام وأتزوجه، لأنني صغيرة وجميلة مثلما ترين... هناك آخريات لا احد يأبه بمرضهن، دلين همست أنها بهذه الطريقة تضمن عدم بيعها، أو اغتصابها مثلما جرى لأخريات رفضن أن يسلمن**" [٢٠]، وبصرف النظر عن النجاة، أو الموت فإن مجرد تخيير الإنسان بين ما إعتاد عليه، وأعتنقه، وأمر آخر لا يعرفه بالقوة والقسر، لاسيما وان كان التخيير خاضعاً لمتطلبات السطوة والقوة، فإننا سنكون لا محالة إزاء تعنيف غير مسوغ، وتصرفات لامتناهية القسوة.

وغير ذلك لدينا المزيد من مظاهر الانتهاك المعمول بها أبان سطوة (داعش) على نحو: " **ومع أول سوط انفتحت الأجساد عن صراخ مكبوت، وتوسلات طفولية غير مفهومة، في فوضى اللغط الذي أثاره السكان.. كانت السياط ترسم تقاطعاتها على الأجساد الناعمة، وتترك آثارها بخطوط حمر.. ومع اشتداد الجلد نفر رذاذ من الدم، بل إن الفتاة الثالثة من الصف الأول هطل رأسها، وكفت عن الصراخ وجلدها يتمزق...**" [٢١] هذه الفعالية ممنهجة في تدابير (داعش) الرامية لبث الرعب في قلوب الناس، واستخدام النساء كجزء من سياسة فرض القوة، يتأتى من سهولة تجيير التهمة وتلفيق السبب المؤدي لهذه الافعال.. فامرأة (كافرة، متبرجة، غير مطيعة) مجموعة لازمات إجرائية لتقنين القسوة وتوجيه حالة التشيؤ اللاحقة على المعنفة، أو غير المعنفة " **الجمعة الماضية أعدمت إمرأة شنقاً؛ لأنها لم تطاوع زوجها المجاهد..** " [٢٢]، ونستمر في إبراز النصوص التي تحمل في طياتها تسخيراً للقوة الغاشمة التي لا تفرق بين حلال وحرام، ففي **رواية شتات نينوى** نجد هذه الجزئية على لسان أحد الشخصيات: "**خضر روى لي إنهم هددوا المرأة بقطع إصبعها إذا ما رفضت اعطائهم خاتم زواجها، وإن الأقراط الذهبية في إذني ابنتها ذات الثلاثة أشهر لم تسلم من المصادرة**" [٢٣]، في النص وشاية على معتد لا يهمه الإنسان، ولا يراعي حرمة المرأة، ولا طفلتها، وبالتالي فهو من باب أولى لا يعبأ باي مظهر من مظاهر الإنسانية بإنتزاعه خاتم الزواج قسراً، ولا نريد أن ندلل على إن الإسلام بريء من أفعال هؤلاء، وان انتسبوا له زوراً، او رفعوا شعاراته بهتاناً..

وعملية التشيئ تبدو أكثر إتضاحاً في النص الآتي الذي يتحدث عن سوق للسبايا: " **أوقفن في صف واحد مطرقات الرؤوس، وعلى صدورهن أرقاماً تعريفية، قابلهن إثنان وخمسون شخصاً متحمساً قدموا من مختلف أنحاء دولة الخلافة وفي عيونهم نظرة**

جوع.." [٢٤] وعلنا نفهم تقهقر الحضارة ونكوص تعاليمها الى ما دون عصر الجاهلي، فزمن العبيد والنخاسة ولى الى غير رجعة، لكن هؤلاء أعادوه متوهجاً من خلال جلب البضاعة الرائجة، نسوة لا حول لهن ولا قوة، تدنس أجسادهن الايدي القذرة، فتتجلى الإنتهازية بأجلى صورها حين نجد صراعاً لاقتناء أجودهن، والفوز بالجميلة الحسناء قبل الآخرين " **وكاد أن يتحول المزاد الى نزاع مسلح عندما أصر عدد من الحضور على استثناء فتاتين جميلتين من العرض وشرائهما دون المرور بالإجراءات خشية إرتفاع أسعارهن..** " [٢٥]، وللنزاعات حكايا أخرى ما بين المسلحين يذهب ضحيتها المدنيون لغايات دنيئة، والتهم جاهزة ودينية في الغالب، والهدف الاستحواذ والتشيؤ " **هذا ما حدث لحامد البقال، لقد تكلم بسوء مرة عن المسلحين فجاؤوا في المساء إليه إتهموه بالردة حملوه الى الساحة، شدوا وثاقه، وأطلقوا النار عليه، في اليوم التالي أخذوا زوجته سبية، ونام المسلحون معها، إشتروها وباعوها، وظلت هكذا بينهم تباع وتشترى..**" [٢٦]، حين نبحث صدقاً عن التشيؤ، فهذا المثال صارخ وكافٍ جداً.

المبحث الثاني: الانتهاك النفسي

كان ما سبق في تتبع امثلة الانتهاكات الجسدية التي تعرضت لها النساء أبان سيطرة (داعش) ومحاولاتهم المستمرة لتغيير سمت المرأة الانسان الى سلعة تتناقلها الأيدي وتفترشها الاسرة، والآن سنتقصى نوعاً من التشيئ النفسي وهو لا يختلف البتة في فضاعاته عن أي انتهاك جسدي، بل سيكون أكثر إيلاماً وتأثيراً على المدى الطويل، وتبدو أولى الانتهاكات في هذا المجال ما يظنه المتشدد ان المرأة مهما بلغت ومهما كانت درجة قرابتها تبقى امراة متحكم بها من قبل من هو اهل للقيادة والقوامة، وبالتالي فإنها لن تستطيع التصرف باي شيء دون اذن رجلها (اب، زوج، ابن) المهم ان يكون ذكرا، ولن نبالغ اذا قلنا ان جسد المرأة أيضا لا يعتبر ملكها بل هو مشاع الملكية بين سلطة الاب أولا، ثم الزوج في المقام الثاني، فحوار فاطمة في رواية **الكافرة** مع والدها ينبي بذلك: " **لكنه جسدي، انت لا تملكينه، ليس لك، جسدي ليس لي !.. شعرت تلك اللحظة بانه يسحقني، فجسدي الذي لا يؤلم غيري يتبخر، ويتحول الى شرف الرجال المحيطين بي!** " [٢٧]، ولو كان الحوار بين رجل وابنته دون إضافات فكرية او ايدلوجية، لقلنا بان الخوف من المجهول هو الذي يحكم علاقة الاب بابنته حين يرجو لها مستقبلا أفضل برعايته وتجربته المديدة، لكن حين نعلم أن الأب هو قيادي في (داعش) لتغيرت الشعور من خوف على الأبنة الى الاستحواذ، ومن ثم سلب الإرادة، وأخيراً التحكم بها كأنها جزء من ممتلكاته، هذا الأمر سيولد شعوراً ساحقاً بالدونية والقلة عند أي فتاة، وسيجعلها أسيرة الاهواء والأفكار المريضة..

ولابد من الإشارة قبلاً الى إن الانتهاك النفسي سيشمل (الإشارة الجنسية، التعنيف اللفظي، الحرمان، والفرض والقسر) وكلها مقدمات لتحوله من انتهاك نفسي الى جسدي من قبيل التعذيب، التشريد، الاكراه الجنسي) وفي هذا الإطار سنحاول تعزيز النماذج المختارة برؤيتنا التحليلية لدور الانتهاك في تسليع المرأة وتغيير كنهها، وعدها شيء غير ملزمٍ الا وقت الرغبة الجنسية " **أبلغ عن الغرباء راقب الحريم**[٢٨] **جيداً، لا نسمح بأن تخرج الحرمة بلا زيها الإسلامي الكامل، النقاب والجبة الطويلة والكفوف والجواريب... لا توجد حريم كثيرات حجي خان كما تعلم سوى العجائز والبقية في السجن، أو تزوجهن المجاهدون وكل شيء تمام، السنجاريات سبايا دولة الخلافة وهن غنائم** [٢٩] .." [٣٠]، ونلمح تفكيراً فوقياً يجاريه فعل متعسف في التعامل مع النساء، إذ إن وجودهن مقصور على خدمة المقاتلين، مع عدهن جزء لا يتجزأ من ملكية الرجل التي سوغها له ما تحصل عليه من غنيمة.. مثال ذلك: " **اسمها هالة وعمرها ثلاثون سنة، يشهد صاحبها انها ملبية في الفراش ومفيدة للخدمة، نفتتح السعر بخمسين دولاراً فمن يزيد..**" [٣١]، وكإننا أمام عرض مسرحي، سوق مزدحم بأصحاب الرغبات، وبضاعة رائجة من النساء، والمحصلة امرأة مسحوقة، أنثى تدفع ثمناً باهضاً كي تبقى فقط على قيد الحياة وسط ذئاب بشرية تتربصها وتتداولها كل حين.

ومع عظم ما أرتكب من جرائم بحق المرأة المسلمة، وغير المسلمة على حد سواء على يد المتطرفين، فإن ما نورده قد يكون أقل من المقدار الواقعي بكثير، لكنه سيبقى وثيقة إدانة لكل المرتكبات اللاإنسانية بحق المرأة، والطفلة أياً كان دينها، " **عندما أفقت كان الملتحون قد أكملوا جمع غنائمهم من النساء والأطفال والمواشي، بعد أن أعدموا كل الرجال والشباب الذي عثروا عليهم... قبل أن يأتي رجل أصلع منتوف اللحية قصير القامة ليلقي علينا خطاباً باللغة الكردية، دعانا فيه الى إعتبار ذلك اليوم أول أيام حياتنا بخروجنا من الظلام الى النور، وإننا أصبحنا ملكاً للمجاهدين في سبيل الله..**" [٣٢]، إن استباحة المخالف الديني في عرف الجماعات المسلحة متاح، وإتيان القرى المسالمة وقتذاك، ومباغتتها، واقتياد نسوتها مسوغ شرعاً، فلا داعي للدخول في تفاصيل المتون الفقهية المتضمنة ذلك، لكن الذي يعنينا هنا أن الإنسان المخالف سيتعرض لكل جزاء وفق مبدأ المنتصر والقوي، بلا رعاية ولا تبصير بما يجري، فلسان إحدى الايزديات يتمتم للرفيقة: " **إن المجاهدين سيفعلون بنا ما يشاؤون، يبيعوننا أو يتزوجوننا.. بقيت صامتة لحظات تحدق في وجهي ثم سألتني بحماسة (ماذا تعني كلمة سبايا ؟)..**" [٣٣]، وفي مشهد مماثل نقرأ: " **هم يجمعوننا هنا لكي يوزعونا فيما بعد على مقاتليهم كهدايا، ونصبح عبيداً لهم بقية حياتنا.. نحن الآن سبايا يا فيروز، هنا تدخلت عمتي بعد أن إستيقظت فجأة (هل سبايا شيء يجلب العار حقاً ؟)**" [٣٤]، ولأن الانسان مجبول على المقاومة في ظل

ظروف طبيعية، فما بالك في كون الوضع غاية في التعقيد، فالنفاذ منه مستحيل فعلاً، ستتحرك حينئذ مجسات الحماية الذاتية لدى النساء لتقليل الخطر الممكن لا درئه، من قبيل توزيع الأطفال بين النساء غير المتزوجات لإيهام المقاتلين إنهن أمهات غير باكرات لتقل رغبتهم بهن، أو تلطخ الحسناوات وجوههن وتسخمها ليبدين بشعات الى آخره من وسائل الدفاع البسيطة، ناهيك عن إن بعضهن لم يستطعن تحمل القسوة، فبادرن للانتحار وقتل أنفسهن بدل أن يصرن أسيرات، فهذه الفتاة تطلب من عمتها خلاصاً أبدياً عن طريق قتلها: "**أرجوكِ ساعديني لكي أظل طاهرة**" [٣٥]، هذه الأمنية العزيزة تصدر من قلب يائس من أي إمكانية للعيش بكرامة.

ولداعش سياستها المائزة في نشر الرعب بين صفوف المدنيين، من خلال فبركة الصور، وصنع معامل الإخضاع عبر تسليط مشاهد القتل، وإجبار الناس على مشاهدتها، وهذا الأمر له تأثير مدمر على نفسية المتلقي الخاضع أصلاً، وللنساء من هذا الإخراج الدرامي نصيب، لتسهيل عملية السيطرة، وقد لا يسمح لنا الوقت في تصنيف درجة الانهيار النفسي طويل الأمد، ومشاكل التعايش بعد ذلك جراء هذه الممارسات، لكننا بالتأكيد نمتلك تصوراً عن قسوة ما خلفته الجماعات التكفيرية من ذكريات في وجدان من عشنّ تجربة الأسر والسبي " **عند منتصف النهار دخل علينا أبو عائشة العفري ومعه ثلاثة أشخاص كنا نراهم للمرة الأولى، أمر الحراس بحشرنا في زنزانة واحدة، وإبقاء الفتيات مكسورات الأذرع في الزنزانة الأخرى، على أن يرتدينّ ثياباً برتقالية اللون جُلبت خصيصاً لهن..**"[٣٦]، في هذا المشهد نلحظ تلاعباً بالمشاعر، وتفتيتاً لمدركات الصمود عند الفتيات من خلال عدة إستراتيجيات: (وضعهن محشورات في زنزانة، حضور الملتحي قائد مجموعة فاتكة، وأخيراً جلب الملابس ذات اللون البرتقالي التي تعني الإعدام في اعراف (داعش)، ومن ثم جاء التصريح العلني " **المحكمة الشرعية أصدرت أمراً بقتل الفتيات اللواتي كسرنّ أذرعهن لأنهن أصبحن معاقات من الناحية الفعلية، ولن تستفيد الدولة الإسلامية منهن كخادمات، ولن تتمكن من بيعهنّ أيضاً؛ لأن لا أحد يشتري نصف سبية..**" [٣٧]، وهنا تكمن ذروة التخويف، ومن ثم توقع الانهيار الذي سيكون متوافقاً مع التبشير بهدايا الخليفة وفيوضاته الرحيمة، فقد أمر بأن يُعفى عنهنّ مقابل إشهار إسلامهنّ، وقبولهنّ الطاعة لمن سيملكهن بإعتبارهن أسيرات حرب جيء بهن لبلاد الإسلام.

إن في إمكانية اختزال الألم في سَوق النساء كما تساق البهائم، سنكون عاجزين؛ لأن مجرد التفكير في جعل النسوة كشيء يُمتلك يضعنا أمام تساؤلات في مقدار ما يمكن ان تقدمه الحضارة الاسلامية لحماية المرأة، وتحويل الشعار البراق في التساوي والتماثل بين الجنسين الى واقع ملموس، ولا سيما وهي تتعرض لانتكاسات قيمية متتابعة، بعد ظهور موجات التشدد السلفي، وركوب النص القَبَلي وتوجيه تأويله باتجاه الغاية المتوخاة، من قبيل: " **لا يحل وطء السبية إلا لمن تملكها ملكاً تاماً، أما من كان ملكه منقوصاً بشراكة فلا يحل لها وطؤها حتى يشتري نصيب الآخرين فيها**" [٣٨]، وعلى هذه الشاكلة يتم تطويع النص الديني لتأسيس نوع من التحصين المقدس قبالة أي تهوين او تقليل من شان ما يقترف.

ولعل السحنة التي يلتزم بها المسلحون والشكل المميز لهم ما يجعل وجوههم أبعد شيء عن التودد، أو الابتسام، وتبدو أشكالهم مرآة مميزة لقلوبهم السوداء: " **كانت وجوه الرجال المحيطين قاسية مثل المعدن، وعيونهم صلفة مثل الحجر، كنت أخاف عبوسهم الذي يحدث في داخلي ارتجافاً غامضاً، أشعر إنهم مؤهلون لأن يمدوا أيديهم ويلمسوني..** " [٣٩] وهم بهذا الوصف سيتغلبون على أي تعاطف تجاه النساء سوى تعاطف الامتلاك والسيطرة، ولعلنا نواجه تغيراً سايكولوجياً يحتمه إدمان مشهد العنف واللامبالاة، وبذلك سيتحول هذا المسلح بدوره لآلة، فقط يطيع وينفذ، ويرى الناس أعداءً مهما كانت صلة القرابة معه، والا كيف نبرر إقدام المسلح بقتل أخيه، أو أبيه بحجة مخالفتهم الشرع، لكن الكاتب لا يفلسف هذا التغير؛ لأنه ليس معنياً سوى بمشاهداته، فالبطلة عند علي بدر تصف أبيها الذي تغير حاله تماماً، وصار مرعباً مخيفاً منذ أن انضم للمقاتلين، بل إنها تفاجأت بردة فعله يوماً: " **دخل أبي الى الحجرة، وكنت العب بدمية في يدي، ومن دون أن ينظر نحوي ناداني بإسمي.. طلب مني أن أتبعه الى الحجرة الثانية، نهضت من مكاني كي أذهب وراءه، فأوقفتني أمي، أشارت لي أن أرتدي النقاب أمامه.. دخلت من دون حجاب الى الحجرة، نظرت له شعرت باختفاء تلك النظرة الحنونة التي كان يغدقها بعض الأحيان نحوي.. لحظات من الصمت وهو ينظر الى الحائط عابساً لا ينظر نحوي، ثم جاء صوته عميقاً كأنه قادم من قعر بئر (لم لم ترتدِ النقاب أمامي؟)..**" [٤٠] الذي يعنينا من هذا النص مقدار التحول الملموس الذي يطرأ على أفكار وأخلاق المسلح، الذي يرى حوله مكملات تخدم وجوده فقط، فليس على الموجودات (نظرائه) سوى الركون والطاعة العمياء له، فلا رأي يسمع ولا قرار يتخذ.

وإذا ما كان لنا بد من إنهاء ما تصورنا أنها نماذج روائية ناهضة في التدليل على شيئية المرأة أبان حكم داعش، ولكي نطمئن لمستخرجاتنا نورد هذا النص كإجراء ختامي، ومتوهج على كل ما سردنا: " **ستعرض كلي معك للبيع يوم غد، مثل أن يبيع**

شخص بقرة مع عجلها، مائدة مع كرسي، سريراً مع فراش، ويتوقف الأمر على من يشتريك من المجاهدين.." [٤١]، ففيه كل ما نريد ان نقول وندلل.

الخاتمة

حين تتعرض الامم لهزات أمنية عنيفة فإن الحال ينتج مجتمعاً مختلاً قيمياً، ترتفع أسهم المتحكمين وهم في العادة مسلحون بآيديلوجيتهم الخاصة قبالة المثاليات المحلية، وهنا علينا أن ننتظر سيادة جديدة لسلوكيات غريبة، بعدها يكون التعامل معها كأمر واقع مفروض قسراً..، في الحال الذي هيمنت (داعش) على أجزاء من العراق، شهدنا تحولات مغايرة اتسمت في معظمها بالعنف والإفراط في الإقصاء، وكان نصيب الديانات والعقائد المغايرة كبيراً من التقتيل والتهجير والسبي.

وكانت المعالجات الروائية غاية في الالتزام من أجل إنصاف المظلومين ورفع صوتهم، وشهدنا كماً ونوعاً من الأعمال العراقية، انبرى فيها الروائيون لتصوير مجريات الأمور بشكل فني ملفت، ونستطيع هنا أن ندعو لمزيد من الدراسة للنصوص السردية التي عملت على ثيمة العنف والإقصاء في هذه المرحلة بالذات.

اما التشيؤ مدار بحثنا فقد تجلى لنا واضحاً في نصوص اخترناها، لان ثيمتها السردية ذات تركيز عال في (أثناء، وما بعد) داعش المظلمة، فكانت روايات مثل **الكافرة (علي بدر)** تحفل بمرجعيات صورية عن مشاهد التشيؤ للمرأة واستغلالها، وكذلك الحال في رواية **عذراء سنجار (وارد بدر السالم)** التي اتسمت بمعالجات دقيقة لحياة الايزديين في سنجار، وما تعرضوا له من سلب ونهب، وكانت المرأة الايزدية أرخص ما تكون تداولاً عند أوباش (داعش)، وأما رواية **شظايا فيروز (نوزت شمدين)** فهي وثيقة دامغة عن أسواق السبايا، وكيف تعرض النساء جهاراً نهاراً وتثمنّ كاي سلعة، بل ولا تدري مصيرها الى أين نهايته، بالإضافة الى رواية شتات نينوى (غادة صديق) التي استعرضت رحلة الألم والهروب الكبير من الوطن الأول المتعرض لأقسى حالات التدمير والنهب.

وعند معالجتنا لظاهرة تشيؤ المرأة وجدنا إن الدوافع لها في الغالب جنسية بحتة، إذ إن المقاتل المدفوع بعقيدة ما، والمدافع عن منطقة فكرية ما، يقدر على تطويع، وليّ المعتقد المعتنَق بشكل يرضي رغباته بالدرجة الأولى، ناهيك عن إن موضوع السبي والسبايا مما له عمق تأريخي يرتبط بالغنيمة والاستغلال المتاحة دون عودة لمسوغات الحلال والحرام، وكان التفاعل الجنسي هو المهيمن على مجريات الانتهاك والتشيؤ، مع اعترافنا بأن هناك مسوغات أخرى لهذا الفعل من قبيل العصبية القبلية، وسطوة القوة، وتمايزات الفرق الكافرة، وكذلك الانتقام وسوء الخلق، كلها تعاضدت وأنتجت مثالاً مشوها للمتطرف الذي ينظر للأمور بشيئية محضة.

وقد عانى البلد ويلات عدة جراء هذه الممارسات اللاإنسانية، وبات على شفير هاوية، وتدهورت عند ذلك العلاقات الإنسانية بالمجمل، بل يمكننا القول ان كل ما فيه تحول لشيئية مقيتة، يباع ويشترى ويهدى، دون مراعاة لحرمة ولا لدين " يا لها من كارثة تحل على العراق، فنساؤه واطفاله سلع ومكآفات تمنح للذئاب" [٤٢]، وكان نصيب الجمال والرقة التشويه المتعمد، فالمرأة نالت اوفر نصيب من التعسف والاذى والاضطهاد.

Abstract

Reification of woman in Iraq : Novels after 2014 Reading in chosing novels.

BY Bushra Y. Muhammad

In all its stages, man played an active role in moving the universe around it towards the creation of a coherent world of noble values, and on our recognition that this march was beset by extremely low slopes, the result of which was that people lost part of their being when they ruled blind toughness a standard for every behavior, and hardening most of its actions required that the hardliner abandon its balance, and it wears away from moderation, so it is specific. (Deal with) Women, especially Iraqi women, who (collectively) have been suffering in their intellectual and behavioral diaspora to stand in the way of equality and parallel with men, but they are attempts that will fail in the kindness of the Eastern man's mind. (Civilian) and what you say about an armed man who knows that a woman is a weak entity, and would therefore be a means rather than an aim, a suitable passage throws into his tyranny.

And the clemency that will be the them of our study, it has great philosophical dimensions, not to mention its literary projections, which, in its general sense, are working to transform human beings in general, women in particular into worthless things, and we will stand for important works of narrative. (Time) Because it is a valid document for the trial of the hard-line.

closed-door plural authority and closed in (religion,thoughts,behaivors) and the way how it looksto woman, in aninvionment was more open and cultuaral before Daesh. In this context, we chose four novels: **The Infidelity of Ali Badr 2015**, **The Nineveh Diaspora of Ghada Seddek Rasul 2016**, **The Virgin of Sinjar for Ward Badr Al Salem 2016**, **The Fragments of Feroz for Nozze Shamidin 2017**, and in turn we will take into account the methodology and psychological and behavioral processes implicit in the novelist act of place, snakes and events by analysing bearing violent repercussions.

And so we divided our search into an introduction: It's a philosophy and a critique, and then to two researchers: One: The physical abuse and its physical scope, the other in the psychological abuse and its profound impact on the woman & apos conscience.

Keyword: **Reification**, **Violation, Iraqi narrative, violence, women**

الهوامش:

[١٥] يضمن هورنيث ان في تحقيق ثلاثة مبادئ (الحب، الحق، التضامن) كفيل بحلحلة كل النزاعات وتامين حق الاعتراف.. ينظر: التشيؤ دراسة في نظرية الاعتراف، اكسل هورنيث، تر: د كمال بو منير، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢، ص١٠

[٢٥] التاريخ والوعي الطبقي، تر: حنا الشاعر، دار الاندلس للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٨٢، ص ٨٠

[٣٥] ينظر: من غيورغ لوكاش الى اكسل هونيث نحو إعادة بناء مفهوم التشيؤ، د كمال بو منير، مجلة هيرمس، جامعة القاهرة، مج٢، عدد٤، ٢٠١٢، ص ٨٣

[٤٥] نقد مفهوم الاغتراب عند هيغل، محمد امين بن جيلالي، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الستراتيجية، بيروت، العدد ١٤، شتاء، ٢٠١٤، ص ٢٢٩

[٥٥] ينظر: أكسيل هونيث :براديغم الاعتراف نحو تأسيس عدالة اجتماعية أخلاقية، د فاطمة فرفودة، مجلة مقاربات فلسفية، مج ٨، عدد ١، ٢٠٢١، ص ١٢٠

[٦٥] أثر الإعلام المرئي على تشيؤ المرأة: دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، د. مروة محمد تهامي، مجلة كلية الآداب، قنا، مصر، عدد ٥٣، تموز ٢٠٢١، ص ١٠٧٢

[٧٥] ينظر: القضايا الأدبية من منظور فلسفي، محمد شبل الكومي، الهيئة المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص ٤٢٨

[٨٥] رقمنة الإنسان: تحديات فلسفة ما بعد الحداثة في ظل جائحة كوفيد – ١٩، محمد إبراهيم عبد العال، مجلة البحوث البيئية والطاقة، مصر، مج ١٠، عدد ١٧، ٢٠٢١، ص

[٩] دولة الخلافة التقدم الى الماضي، فالح عبد الجبار، المركز العربي للأبحاث، الدوحة، ط١، ٢٠١٧، ص ٥٥

[١٠] الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، د عبد الله سلوم، دار واسط للنشر، ص ١٥

[١١] معجم اللغة العربية المعاصرة، د احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨، ص ١٣٩٦

[١٢] عذراء سنجار، وارد بدر السالم، منشورات ضفاف، بيروت، ط١، ص ١٩

[١٣] أسَاليبُ بنَاءِ الجُملةِ السَردِيةِ في روايَاتِ الإرهَابِ العِراقيةِ ٢٠٠٥ – ٢٠١٧، أحمد عبد الجبار فاضل، مداد الاداب، الجامعة العراقية، مج ١، عدد ٢٠، سنة ٢٠٢٠، ص ٢٢١

[١٤] لسان العرب، مادة نهك

[١٥] الكافرة، علي بدر، منشورات المتوسط، ميلانو، ط١، ٢٠١٥، ص ٤٤ وما تليها

[١٦] المصدر نفسه

[١٧] المصدر نفسه

[١٨] المصدر نفسه، ص ٤٠

[١٩] المصدر نفسه، ص ٤٤

[٢٠] شتات نينوى، غادة صديق، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١٦، ص ٣٠١

[٢١] عذراء سنجار، ص ٤٧

[٢٢] المصدر نفسه، ص ٧٤

[٢٣] شتات نينوى، ص ٢٧٧

[٢٤] شظايا فيروز، ص ٨٨

[٢٥] شظايا فيروز، ص ٨٩

[٢٦] الكافرة، ص ٩٥

[٢٧] المصدر نفسه ص ٧١

[٢٨] الحريم، مشتقة من الحرم، ما يدافع عنه الرجل ويحميه، والحرمة ما لا يحل انتهاكه من ذمة وحق، وايضاً بمعنى المرأة.. ينظر: الحريم في القصر العثماني، د. ماجدة صلاح مخلوف، دار الافاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، ص ١٠، ويبدو ان اطلاقها بمعنى حاشية الملك او السلطان من الجواري قد اخذ مداه ابان السلطنة العثمانية، إذ كان السلاطين يحشدون الجواري، والمحظيات، والسبايا في قصورهم، ولكي يسبغوا عليهن هالة من الممنوع والمحظور اطلقوا عليهن لقب الحريم..

[٢٩] الغنائم، جمع، والغنم في كل مظفور به من جهة العدى وغيرهم، مفردات الفاظ القران، الراغب الاصفهاني، تح: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ٢٠٠٩، ص ٦١٥

[٣٠] عذراء سنجار، ص ٣٧

[٣١] شظايا فيروز، ص ٨٩

[٣٢] شظايا فيروز، نوزت شمدين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٧، ص ٥٨

[٣٣] المصدر نفسه، ص ٦٠

[٣٤] المصدر نفسه، ص ٧٧

[٣٥] شظايا فيروز، ص ١٠٩

[٣٦] المصدر نفسه، ص ١١٦

[٣٧] المصدر نفسه، والصفحة ذاتها

[٣٨] المصدر نفسه، ص ١٤٣

[٣٩] الكافرة، ص ٦٢

[٤٠] المصدر نفسه، ص ٦٩

[٤١] شظايا فيروز، ص ٢١١

[٤٢] شتات نينوى، ص ٣١٧

المصادر

١- الروايات

أ- شتات نينوى، غادة صديق، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١٦

ب- شظايا فيروز، نوزت شمدين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٧

ت- عذراء سنجار، وارد بدر السالم، منشورات ضفاف، بيروت، ط١

ث- الكافرة، علي بدر، منشورات المتوسط، ميلانو، ط١، ٢٠١٥

٢- المراجع

أ- التاريخ والوعي الطبقي، تر: حنا الشاعر، دار الاندلس للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٨٢

ب- التشيؤ دراسة في نظرية الاعتراف، اكسل هورنيث، تر: د كمال بو منير، كنوز الحكمة للنشر، ط١، ٢٠١٢

ت- الحريم في القصر العثماني، د. ماجدة صلاح مخلوف، دار الافاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٨

ث- دولة الخلافة التقدم الى الماضي، فالح عبد الجبار، المركز العربي للأبحاث، الدوحة، ط١، ٢٠١٧

ج- الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، د عبد الله سلوم، دار واسط للنشر

ح- القضايا الأدبية من منظور فلسفي، محمد شبل الكومي، الهيئة المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥

خ- معجم اللغة العربية المعاصرة، د احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨

د- مفردات الفاظ القران، الراغب الاصفهاني، تح: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ٢٠٠٩

٣- الدراسات

أ- أثر الإعلام المرئي على تشيؤ المرأة: دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، د. مروة محمد تهامي، مجلة كلية الآداب، قنا، مصر، عدد ٥٣، تموز ٢٠٢١

ب- أسَاليبُ بنَاءِ الجُملةِ السَردية في روايَاتِ الإرهَابِ العِراقيةِ ٢٠٠٥ – ٢٠١٧، أحمد عبد الجبار فاضل، مداد الاداب، الجامعة العراقية، مج ١، عدد ٢٠، سنة ٢٠٢٠

ت- أكسيل هونيث براديغم الاعتراف نحو تأسيس عدالة اجتماعية أخلاقية، د فاطمة فرفودة، مجلة مقاربات فلسفية، مج ٨، عدد ١، ٢٠٢١

ث- رقمنة الإنسان: تحديات فلسفة ما بعد الحداثة في ظل جائحة كوفيد – ١٩، محمد إبراهيم عبد العال، مجلة البحوث البيئية والطاقة، مصر، مج ١٠، عدد ١٧، ٢٠٢١

ج- من غيورغ لوكاش الى اكسل هونيث نحو إعادة بناء مفهوم التشيؤ، د كمال بو منير، مجلة هيرمس، جامعة القاهرة، مج٢، عدد٤، ٢٠١٢

ح- نقد مفهوم الاغتراب عند هيغل، محمد امين بن جيلالي، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الستراتيجية، بيروت، العدد ١٤، شتاء، ٢٠١٤